تاريخ الفلسفة
٥٨ فينومينولوجيا العقل لهيجل
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

كيف تجده؟ التقرير الذي وصلني فورًا من روبرت فيتش هنا هو أنه فظيع .بعد كانط، بعد كانط، إذا كان .أحدهم فظيعًا، فهذا يبدو غريبًا .كنت أظن أنه بعد كانط، سيكون كل شيء سهلًا

.لكنني أوضحت لبوب أن الصعوبة لا تكمن في الترجمة، بل في طريقة التفكير

أوه، مفردات محدودة نوعًا ما، لكنك ستعتاد على ذلك .أما أسلوب التفكير، كما ترى، فقد كان كانط لا يزال منخرطًا فيما يُعرف اليوم بالتفكير الخطي، أي تتبع مسار الحجة، ومحاولة تحديد الافتراضات الأساسية أو .الافتراضات المتعالية، تلك المفاهيم الخفية

.ثم في الجدل، يقوم ببساطة بفحص منطق الحجة ويكشف عن مواضع عدم الترابط .وهذا أمر مألوف لديك .ما يستخدمه أساسًا هو المنطق الأرسطي المنخرط في الاستدلال الخطي، خطوة بخطوة

وهكذا يمكنك المتابعة خطوة بخطوة .لكن هذا ليس هيغل، كما ترى .هيغل أشبه بالغوص في بركة سباحة .ومحاولة تحديد الاتجاهات

وأعني بذلك أن الأمر أشبه ببركة سباحة فقدت فيها رؤية محيطها .تحاول أن تستشعر ما يوجد في هذا الاتجاه .وما يوجد في ذاك الاتجاه .تحاول أن تحدد موقعك

لكن لتحقيق ذلك، عليك إيجاد نقاط مرجعية في شتى الاتجاهات .لذا، يبدو الأمر كما لو أن هيغل يهبط فجأة في قلب الحدث، ويرسل إشارات في كل الاتجاهات، متجهات، محاولاً تحديد موقعه بالنسبة للأشياء .الأخرى في البيئة المحيطة .إنها تجربة قراءة مختلفة

بصورة أكثر رسمية، وبالعودة إلى ما قلناه في المرة السابقة، فإن كانط منخرط في التفكير الاستنتاجي، متتبعاً .الصلة المنطقية بين القضايا .منطقه منطق القضايا

.أما الاستدلال المنطقي من قضية إلى أخرى، فإن هيجل لا يتعامل مع القضايا، بل مع المفاهيم

.إنه يحلل المفاهيم .ويفكك المفاهيم .إنها مسألة مختلفة تماماً

هذا خلطٌ للاستعارات بعد الخوض في التجربة .لكنها طريقة تفكير مختلفة .كما ترى، ذلك المخطط الشامل ،لنظامه، الذي قدمته لك بشكل موجز مع كل ما يتعلق بالنقطة الأولى، والنقطة الثانية، والنقطة الثالثة .والفرضية، ونقيضها، والتركيب

كما ترى، يبدأ كل شيء بأكثر المفاهيم تجريداً، ألا وهو الوجود .كل شيء آخر هو محاولة لاستكشاف مفهوم .الوجود، وجعله أكثر واقعية

.لا .ماذا تقصد بالوجود؟ كما ترى، يبدو الأمر كما لو أن كانط قد أخبرنا أن الوجود ليس صفة

.ليس مفهوماً .فيرد هيغل قائلاً :هذا ما تظنه .سأريك

.يا إلهي، لقد احتاج إلى كتاب كامل ليُرينا ذلك .وأكثر من ذلك .كما ترى

.مجرد حقيقة الوجود .لا، قد لا يكون هذا هو الكينونة .إنه أمر مُعطى فحسب

.تلك الحقيقة المجردة .حقيقة بلا معنى .وجود بلا جوهر

لكنك لا تجد ذلك عند هيغل .كما ترى، فإن هيغل، كما أشرت في المرة الماضية، أقرب إلى المبادئ اليونانية .في هذا الصدد

.كما ترى .لأن مفهوم الوجود محمّلٌ بأنواعٍ شتى من الدلالات .إنه يحاول فكّ رموزها، واستكشافها

كيف يمكنك فهم مفهوم ما؟ حسناً، طريقته لفهمه هي أن يتجول في أفكاره، متسائلاً :في هذا النوع من التأمل ،الحر، إذا قلتُ "الوجود"، فماذا يتبادر إلى ذهنك؟ ها؟ أجل .العدم .أن أكون أو لا أكون، هذا هو السؤال .أليس كذلك؟ هل من الأفضل أن ...كما تعلم

الوجود والعدم، موجود أو غير موجود، حسنًا، هل الأمر بهذه البساطة؟ لأنك إذا سألتَ إن كان شيء ما ،موجودًا أم غير موجود ، فبأي معنى تقصد؟ وفي أي وقت تقصد؟ وستبدأ فورًا بإدراك أن الوجود والعدم رغم كونهما يبدوان متناقضين ، إلا أنهما يتحدان نوعًا ما عند التفكير في الصيرورة .لأن أي شيء في طور الصيرورة، هو ما لم يكن عليه، وليس ما كان عليه، كما ترى .هو ما لم يصبح عليه تمامًا بعد، ولكنه يكاد .يكون كذلك، كما ترى

لا وجود للثبات في عالم التغيير .ولذا تدرك أن ما ليس موجوداً على وشك أن يصبح موجوداً، وأن ما هو .موجود على وشك أن يصبح غير موجود

هذه هي طبيعة الصيرورة، وهي التصور الملموس للوجود .ولذا فهو يحاول جعل ذلك أكثر واقعية .ثم لديك .الخطوط العريضة هناك

،ينتقل إلى أبعاد أخرى لمفهوم الوجود، ليس فقط الإيجابية أو السلبية، بل إلى الكمية، والكمية، والشمول والبعض، وما إلى ذلك، ثم ينتقل من الوجود إلى الجوهر .لأنه ، على الرغم من أنه يبدو ظاهريًا، في منطق .ثابت، أن الجوهر والوجود متناقضان .فمجرد كونه موجودًا يختلف عما هو عليه

.قد يقول قائل إن الوجود يسبق الماهية .هذا ما سيقوله سارتر .وسارتر بذلك يقطع علاقته مع هيغل

،لأنّ هيغل يرى أنّه لا وجود بدون جوهر .لذا، فبينما يقف المفهومان في العالم المجرد متقابلين كأضداد .فإنهما في الواقع الملموس يجتمعان .كما ترى

.ولذا عليه أن ينقل منطقه إلى المفهوم الحقيقي للوجود .لاحظ أنه يقول :المفهوم .نعم، الوجود مفهوم

.ليست حقيقة فارغة لا معنى لها، بل مفهوم مليء بالمعنى .كما ترى

وهكذا يواصل عمله بهذه الطريقة .ستلاحظ يا بوب أن هذه هي طريقة تفكيره .وإذا وضعت هذا في اعتبارك .أثناء القراءة، فستكون أقرب بكثير إلى فهم ما يفعله

وسنحصل على بعض الأمثلة التوضيحية لذلك لاحقًا .ولكن في الوقت الحالي، اسمحوا لي، إن استطعت .العثور عليها، أن أقرأ لكم مقتطفًا قصيرًا من منطقه .من قسم الجوهر

،وأعتقد أنك تستطيع أن ترى ما يفعله هنا .يقول إنه، في نظرية المفاهيم المتناقضة، يقف مفهوم واحد ولنقل الأزرق، في مقابل مفهوم آخر، وهو ليس أزرق .هذا الآخر لن يكون إيجابياً، مثل الأصفر، بل سيُحفظ .في صورة سلبية مجردة، وليس أزرق

إنّ النفي، بطبيعته، شيء إيجابي تمامًا .لكنّ التضادّ السخيف، السخيف هو تعبيره، التضادّ السخيف بين ما يُسمّى بالمفاهيم المتناقضة، يتجلّى بوضوح في الصيغة المُبالغ فيها لقانون عام .وهو أنّ كلّ ما يحمل أحد .الصفتين دون الآخر من بين جميع الصفات المتضادة

.وبهذا الشكل، كل شيء إما أزرق أو ليس أزرق .أنت إما أزرق أو لست أزرق .أبيض أو ليس أبيض

.أصفر أم أبيض؟ معلومة مفيدة، أليس كذلك؟ كما تعلم، إنها فارغة، تافهة .لا تخبرك بشيء

يُغفل أن الهوية والتناقض متضادان في حد ذاتهما، وأن هناك مبدأ التناقض .لكن على النقيض من مذهب التناقضات هذا ، يتحدث عن مفهوم القطبية .بحيث يمكن القول إن الوجود والعدم يقعان على قطبي .سلسلة متصلة

كما ترى .وبناءً على ذلك، يُعد هذا تعريفًا أدق بكثير للمعارضة .القطبية .ولذلك يتحدث عن مجموعة متنوعة من الأقطاب، ليس فقط الوجود والعدم، ولكن المحدود واللامحدود، والمثالي والواقعي، والواحد .والمتعدد، والكلي والجزئي، والمظهر والحقيقة، والعقل والحقيقة

كما ترى، تُعتبر هذه الأفكار في المنطق الثابت بمثابة أضداد .لكن في الواقع، كل شيء يجمع بين هذين .القطبين .وهذا ما نراه عند هيغل

مباشرةً بعد الاستراحة، سنقرأ أعمال وايتهيد .وأودّ أن ألفت انتباهكم إلى هذه النقطة مجدداً، ففي مقدمة كتابه الرئيسي "العملية والواقع"، يذكر أنه متأثر بشدة بـ ف .هـ .برادلي، الفيلسوف الهيغلي البريطاني، في رفضه لكل هذه الثنائيات .لذا، تذكروا أن وايتهيد الذي ستقرأونه، مثل هيغل، يرفض هذه الثنائيات ويعمل .وفق نهج جدلي

والفرق الكبير هو أنه ليس مثالياً ميتافيزيقياً .وايتهيد ليس كذلك .وايتهيد ينقل المخطط الهيغلي إلى أساس .أكثر طبيعية

كما ترى، ننتقل إلى أساس أكثر طبيعية من حيث العمليات الطبيعية للتطور والنمو .وينطبق الأمر نفسه على جون ديوي، الذي سنقرأ له بعد أسبوع من قراءة وايتهيد .فكلاهما بدأ بجذوره الفلسفية في التراث الهيغلي، ثم .انتقل إلى نوع من الميتافيزيقا الطبيعية

لذا ضع هذا في اعتبارك .إنه أمر بالغ الأهمية .إذا كنت تتذكر منهج الدورة، فستتذكر أن كل شيء الآن يدور .حول الوجودية؛ لقد أطلقت على القرنين التاسع عشر والعشرين لقب ورثة هيغل

ينطبق هذا على وايتهيد ولاهوت العملية .وينطبق على جون ديوي والبراغماتية الأمريكية .وينطبق على .الظواهرية الأوروبية والوجودية

."ينطبق هذا على الماركسية .وهذه الجدلية هي الأمر المهم .تذكروا جيداً معنى كلمة "جدلية

،التفكير مليًا في الأمر .كما ترى، لا يتعلق الأمر باتباع سلسلة من الاستنتاجات "dialego" حرفيًا، تعني كلمة .بل بالتفكير مليًا في الأمر .تحليل

إذن، ما يفعله الجدل، هذا النمط من التفكير، هو التفكير ملياً في مفهوم الوجود، ثم في المفاهيم الفرعية التي تظهر خلال هذه العملية كجوانب من الوجود .حسناً .هل هذا مفيد قليلاً؟ نأمل أن يمنحك بعض السياق .لما تقوم به

.حسنًا .دعني أذكر كتابًا آخر مفيدًا .ربما أكون قد استشهدت به في سياق حديثي

لكنّه كتابٌ من تأليف إحدى خريجاتنا، ميريل ويستفال .وهو في رأيي من أكثر الكتب سهولةً في القراءة التي ."كُتبت عن هيغل .عنوانه "التاريخ والحقيقة في فينومينولوجيا العقل لهيغل

التاريخ والحقيقة في فينومينولوجيا العقل عند هيغل .لدى ويستفال كتاب أحدث عن فلسفة الدين عند .هيغل لم أقرأه بعد، لكنني وجدت هذا الكتاب مفيدًا للغاية

حسنًا .أتساءل، هل من تعليقات قبل أن ننتقل إلى الموضوع التالي؟ تعليقات، استفسارات؟ حسنًا .هل حصل الجميع على نسخة من مخطط هيجل من الدرس السابق؟ هل هناك من لم يحصل عليها؟ جميعهم .لديهم نسخة منه

حسنًا .فلننتقل إذن إلى فينومينولوجيا العقل أو الروح .المصطلح، الكلمة الأنجلوسكسونية القديمة، تعني .الشبح أو الروح

إذا قلتُ، ضع في اعتبارك ما يقصده بالعقل، فأنا لا أقصد التورية .لكن فكّر للحظة أن المقصود بالعقل أو .الروح ليس جوهرًا روحيًا، لأن هيغل لا يتعامل مع ميتافيزيقا الجوهر

فلسفته ميتافيزيقية عملية .وهذا تمييز مهم يعود إلى ما قبل سقراط .فكما تتذكر، كان بعضهم يبحث عن .الجوهر الأساسي، عن المادة الكامنة، غير المتغيرة

،وأظن أن ميتافيزيقا الجوهر بهذا المعنى تتجسد في بارمنيدس .بينما انصب اهتمام آخرين على فهم العملية واعتبروها أسمى من الجوهر الثابت، كما في حالة هيراقليطس .أتذكرون هيراقليطس الذي لم يخطُ في النهر .نفسه مرتين؟ حسنًا، هذا التناوب، هذه الأضداد، بين العملية والجوهر، ما زالت حاضرة بيننا منذ ذلك الحين

لكن بشكل عام، فإن الحركة الفلسفية التي بدأت مع ديكارت تركز على الجوهر .وقد يكون ذلك بسبب تأثير .العلوم الميكانيكية، حيث كانت المادة تُعتبر في كثير من الأحيان مادة خاملة

،حبيبات دائمة، غير متغيرة، وغير قابلة للتجزئة من مادة خاملة .حسنًا، مع مفهوم المادة غير المتغيرة هذا يسهل نقله إلى مفهوم العقل أو الروح كركيزة غير متغيرة .حسنًا، أعتقد أنه من الإنصاف القول إن كانط قد .حسم هذا الأمر

من بين الأمور التي قام بها كانط، بالطبع، أنه لم يكتفِ بالإشارة إلى أن مفهوم الجوهر هو فكرتنا، بل هو .تصور ذاتي نفرضه على الأشياء .أما هيغل فلا يهتم بهذه المسألة

هو مهتمٌّ بالعقل والروح، بمعنى الحيوية الإبداعية، بمعنى الوعي الناشئ والوعي الذاتي، بالروح الإبداعية التي تنبض في كل شيء، مستحضراً المفهوم الرومانسي.

لذا، إذا كنا نحاول وصف ميتافيزيقا هيغل، وقد وصفتها سابقًا بعدة طرق، فيمكن وصفها بأنها مثالية رومانسية .نعم، إنها تصورٌ لكل شيء في جوهره من طبيعة العقل أو الروح، ولكن يُفهم من منظور رومانسي للحرية الإبداعية المتدفقة في كل مكان .أو إن شئت، فهي مثالية تطورية.

حيث يتجه كل ما هو إبداعي كامن نحو التعبير الكامل عن روحه الإبداعية، وعن حريته الروحية .ولذا، لا يُنظر إلى التطور البيولوجي بهذه المصطلحات الحيوية فحسب، بل يُنظر إلى التطور الثقافي بنفس الطريقة.

يُنظر إلى التطور التاريخي من هذا المنظور .ويُنظر إلى تاريخ الفن من هذا المنظور .ويُنظر إلى تاريخ الدين من هذا المنظور.

المزيد والمزيد من حرية الروح في المعتقدات الدينية، والصور، والممارسات، وما إلى ذلك .لذا فهي مثالية تطورية .والجدل هو ببساطة المنطق الذي يتتبع هذه العملية.

نعم، المنطق الذي يتتبع العملية .إنه موجه نحو العملية نفسها .الأطروحة، ونقيضها، والتركيب، كلها عملية تأمل، وهي عملية الواقع.

كما ترى ، العقلاني هو الواقعي .لذا فإن العملية التأملية هي أيضاً العملية الواقعية .إنها متطابقة.

حسنًا، انطلاقًا من هذا، رأينا كيف ينتقل هيجل من الأطروحة الكبرى الأصلية للمنطق، وهي الشكل المجرد للفكر، إلى الطبيعة، وهي المظهر اللاواعي للفكر .حاملًا ذلك الشكل .الروح، التي تجمع بين الشكل المجرد والمظهر اللاواعي في تنمية الوعي.

وهو مهتم بتنمية الوعي الذاتي الفردي ، وبتنمية الوعي الاجتماعي، سواء بمعنى الوعي الاجتماعي الشخصي أو بتنمية الهوية الذاتية للمجتمع أو الدولة أو الأمة .كما أنه مهتم بتنمية الحرية الذاتية الكاملة والوعي الذاتي في سياق التاريخ المطلق، والروح الشاملة.

الثلاثة جميعها .فبينما يبدو الأول كقطعة من علم النفس التأملي، ويُقرأ على هذا النحو، والثاني يُقرأ ككتاب في الأخلاق، فإن الثالث يبدو كدراسة للتاريخ الثقافي .الفن والدين والفلسفة في تطورها.

إلى أن تصل إلى غاية كل ذلك .إذا كانت الفلسفة هنا، والفن، والدين، والفلسفة، إذا كانت الفلسفة هي التوليف هنا، فما هي الذروة، التوليف العظيم في الفلسفة؟ إنها فلسفة هيغل .أترى ؟ حيث في ازدهار الروح الألمانية والقومية الألمانية والثقافة الألمانية، تجد المفهوم مفهوماً بوضوح تام، مُفصَّلاً بالكامل.

لذا، بمعنى ما، ينظر هيغل إلى فلسفته لا كفلسفةٍ تُنهي جميع الفلسفات، بل كفلسفةٍ كل ما يليها ما هو إلا ،سلسلة من الهوامش على فكر هيغل .أترى ؟ أجل .أجل، أترى، عندما تصل إلى التركيب النهائي والتفاصيل . يجب أن تُحلّل كل التفاصيل الدقيقة

لكن لا شيء بعد التركيب النهائي .قد تضحك الآن، لكن هكذا كانت الجدلية الهيغلية، حتى عند تطبيقها على النظرية الماركسية، القائمة على أسس مادية لا مثالية .فالرؤية الماركسية تقوم على الانتقال من أطروحة الرأسمالية إلى نقيضها، أي دكتاتورية البروليتاريا، وصولاً إلى تركيب مجتمع لا طبقي.

ماذا بعد؟ لا شيء .لأنك في مجتمع بلا طبقات، تكون قد احتضنت كل المتناقضات .لقد أصبح المجتمع بلا طبقات؛ لم يعد هناك صراع طبقي، ولا جدلية متبقية.

وهكذا انتهى الأمر .هذه هي الألفية .أترى ؟ هذا هو التفاؤل التطوري للقرن التاسع عشر.

وهذا هو مصدر التفاؤل التطوري في القرن التاسع عشر يا هيجل .هذا هو مصدره .أجل.

إذا استطعنا حلّ جميع التناقضات الجدلية، فقد حققنا هدفنا .حسنًا، هذه هي الصورة العامة، ونريد أن نلقي نظرة فاحصة على بعض جوانبها .ما يحدث داخل الروح الذاتية هو التحرر التدريجي.

قلنا إن هذا هو انبثاق الحرية .التحرر التدريجي للعقل من الحواس .التحرر التدريجي للعقل من الحواس.

هذا هو نوع المثالية التي يهتم بها .ولكن، لماذا هذا التحرر للعقل من الحواس؟ أولًا، من الواضح أنه لن يكون تجريبيًا .لماذا؟ حسنًا، لأن التجريبية، كما أدرك أفلاطون، هي عالم التغيير.

وإذا كان ما نسعى إليه هو الانتقال نحو المفهوم الثابت، أو التركيب الشامل، فإن عملية التغيير في التحليل النهائي لا تخضع للحواس، بل تخضع لمصدر الشكل والنظام والثبات .ولذا، فمن المفهوم أن هيغل مهتم برؤية العقل متحرراً من قيود الحواس.

ويبلغ ذلك ذروته، كما ترى، عندما تعمل في الفنون، نعم، بشكل إبداعي مع المواد الحسية .ترى، العقل يعمل فعلاً، وخاصة إذا كنت رومانسياً، فيعمل بشكل خيالي، لا بشكل أعمى، مع المواد الحسية .وفي الدين، يكون الأمر أكثر أهمية.

وفي الفلسفة، نعم .هناك تجد الأمور أكثر واقعية .أجل.

معظم الأفكار الملموسة تنبع من الفلسفة .أترى ؟ لأن الفكر يتعامل مع المفاهيم، لا مع الأشياء الحسية .لذا فهذا ما يسعى إليه.

تجنب ما هو ثابت ومجرد، وتطوير ما هو ملموس .الآن، عندما يتناول هذا الموضوع، تذكر أن العدسة التي يرى من خلالها الأشياء على هذه الشاشة الواسعة هي عدسة وعينا الذاتي .حسناً؟ إذن ما يفعله في هذه الظاهراتية، تذكر أن الظاهراتية وصف، وما ينخرط فيه أحياناً هو تقمص الشخصية.

لعب الأدوار .وصف متعاطف .إنه يدخل في حالة انعكاس، في مشاعر الشخص في الموقف الذي يصفه.

الدخول في التجربة بتعاطف، لا الوقوف خارجها ووصف السلوكيات، بل الدخول إلى أعماقها لفهم ماهيتها في الوعي الناشئ .أترى ؟ علم الظواهر، كما سنرى مع تقدمه في القرن العشرين، يهتم ببنية وجودنا الواعي في العالم.

أترى ؟ إنه يحاول تتبع البنية الجدلية لوجودنا الواعي في العالم .إنه لا يحاول التعامل مع الوعي بمعزل عن العالم .كان هذا خطأ ديكارت، إذ أغلق على نفسه غرفة دافئة بالمدفأة وسأل نفسه إن كان العالم موجودًا.

إلى أي مدى يمكن أن يصل التجريد؟ أترى ؟ أصبح ويليام تمبل، الفيلسوف الهيغلي الجديد في إنجلترا، رئيس أساقفة كانتربري في أربعينيات القرن العشرين .خصص فصلاً في أحد كتبه بعنوان "خطأ ديكارت ."كان خطأه هو أن يعزل نفسه في غرفة ويسأل نفسه إن كان أي شيء موجودًا.

،ألا يمكنك تخيل ديكارت وهو يشعل الموقد ليدفئ نفسه بينما يتساءل إن كان جسده موجودًا؟ تعرف ."تناقضات التجريد .لكن لا، فالأمر يتعلق ببنية الوجود الواعي .لاحظ كلمة "الوجود

،أنت ترى مفهوم الوجود .ما هو الوجود، يتجلى من خلال وعينا الذاتي .لذا تنظر إلى وجودنا الواعي في العالم ... في علاقته بـ

كما ترون، كان هناك ميل في القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى اعتبار الفرد بمثابة روبنسون كروزو .كان .روبنسون كروزو فيلسوفًا اجتماعيًا، ولم يكن مجرد كاتب قصص للأطفال

ما كتبه في رواية روبنسون كروزو كان عملاً ساخراً اجتماعياً .أما في كتاباته الفلسفية، فيتناول دانيال ديفو الفرد المنعزل، الذي يحكمه العقل، مكتفٍ بذاته، يعيش وحيداً على جزيرته مع ماعزه وحارسه .أليس كذلك؟ .وهو لا يحتاج إلى الآخرين

إنه قادر على إخضاع الطبيعة لحكم العقل وتأمين احتياجاته .عندما يأتي المتوحشون، يبتعد عنهم حتى يراهم على وشك تحضير العشاء يوم الجمعة .وهكذا ينقذ الرجل الجمعة، لكنه يبقيه تحت سيطرته حتى يصبح .عاقلاً بما يكفي لعقد اتفاق اجتماعي

عندما يأتي البحارة الإسبان، يتجنبونهم .إنهم غير عقلانيين .أما عندما يأتي البحارة البريطانيون، فالأمر .مختلف

يدخلون في عقد اجتماعي ويبحرون عائدين إلى إنجلترا .مع ذلك، كان ديفو يعلم ما يفعله .الفرد جزيرة .معزولة، مكتفية ذاتيًا، على عكس هيغل

.لا وجود لفرد منعزل .حتى الوعي الذاتي لا يوجد بمعزل عن غيره .فهو مهتم ببنية وجودنا الواعي في العالم

.لا يوجد كائن آخر في العالم يُمثّل الفرد .أتمنى لو أن هيغل كتب رواية أخرى لروبنسون كروزو لتصوير هذا .لكانت أفضل قليلاً من فلسفتي الظاهراتية، أليس كذلك يا بوب؟ ربما عليك أن تفعل ذلك

حسنًا، يبدأ إذًا بالروح الذاتية .وإذا كان لديك المخطط التفصيلي، ستلاحظ أن مجال الروح الذاتية أو الفردية .يبدأ بأطروحة تتعلق بالوعي الحسي .والآن، سترى أن الوعي الحسي ليس هو نفسه الوعي الذاتي

إن الوعي الحسي أمرٌ يمتلكه الحيوان بالفعل .في الواقع، يمتد هذا المستوى من الجدل من نهاية التناقض الكبير حول الطبيعة التي تتعامل مع الكائنات الحية، والذي وصل إلى وصف علم وظائف الأعضاء، الذي يُنتج بدوره الوعي لدى الحيوانات .لذا، فإن الوعي الحسي هو ببساطة، إن جاز التعبير، جزء من التركيب في .الطبيعة، والذي يُصبح الآن أطروحةً لتناقض جديد

إن الوعي الحسي متجذر في العمليات البيولوجية للدماغ والإدراك الحسي .لكن الوعي الحسي ليس سوى وعي .بالآخر .وعي بالآخر

وهذا يتناقض مع وعي الذات .الوعي الحسي، الوعي الذاتي .لكنك لا تملك عقلاً أو روحاً أو منطقاً يعمل بحرية .إلا عندما يحقق ذلك الوعي الذاتي، في تعامله مع عالم الوعي الحسي، حريته في ذلك العالم

لذا، فالأمر لا يقتصر على الوعي الذاتي المنعزل، بل هو وعي ذاتي فاعل، تأملي، عقلاني، حر، إبداعي، يُسهم في تشكيل عالم الوعي الحسي .وهذا هو المدخل إلى الروح الموضوعية، إلى الحديث عن القانون والنظام في المجتمع .فما هو القانون والنظام؟ إنه عمل العقل في تنظيم عالم الوعي الحسي.

هل فهمت الانتقالات؟ الآن، لديك في المختارات قطعتان مأخوذتان من قسم الروح الذاتية .إحداهما عن السيد والخادم، والأخرى عن الوعي الرواقي المتشكك التعيس .ما الذي يحدث في هاتين القطعتين؟ حسنًا، أعتقد أنه في ضوء ما قلته، يمكنك بالفعل توقع ما يحدث.

إن نموذج السيد والخادم مشهور، وتجده يُشار إليه مراراً وتكراراً .ومن هذا المنطلق ينبثق مفهوم الاغتراب.

كان مفهوم الاغتراب حاضرًا لدى الفلاسفة الوجوديين الأوائل، ولدى ماركس وإنجلز، ولا يزال حاضرًا حتى في حركة الصوابية السياسية اليوم .فالصوابية السياسية تُستخدم للتغلب على اغتراب الأقليات .مفهوم الاغتراب.

سنجد عند سارتر أننا سنعود إلى هذا الموضوع .باختصار، يدور الأمر حول حقيقة أن المرء لا يحقق الوعي الذاتي إلا في علاقته بالآخر .أترى ؟ لا يتحقق الوعي الذاتي إلا في علاقته بالآخر .

إذن، هذا، إن شئت، وصفٌ لظاهرة الوعي الذاتي الناشئ .إنه وصفٌ تعاطفي لما يمر به السيد، وما يمر به الخادم، وما يمران به في علاقتهما ببعضهما .فكما ترى، حتى من حيث معنى كلمتي "سيد "و"خادم"، لا يوجد سيدٌ بلا خادم.

ليس سيدًا إن لم يكن له سيد .ولا يوجد خادمٌ إن لم يكن له سيد .أترى ؟ ما هو؟ إنه لا يدري.

هو عاطل عن العمل .لذا فإن هوية المرء تعتمد على تلك العلاقة .هوية المرء تعتمد على تلك العلاقة.

لكن بالمثل، لا يوجد فاعل بدون مفعول به .ولا يوجد مفعول به بدون فاعل يكون هو مفعولاً به .هذه مصطلحات علائقية.

هذه هي الأقطاب .ها نحن ذا .الأقطاب.

والجدلية هي ما يتتبعه، الجدلية الكامنة وراء هذه الثنائية .فالذات المنعزلة تبقى ناقصة دائماً .علينا أن نرى الذات الفردية في علاقتها بالآخر.

الآن، ولتحقيق الهوية الذاتية، يعتقد من يقف في وجه الآخر أنه يجب عليه إلغاء الآخر، أي نفيه .أنا السيد عندها يشرع الخادم في جعل سيده معتمداً عليه اعتماداً تاماً.

من هو السيد الآن؟ انظر، يكمن التدمير الذاتي والتناقض في تأكيد أنني السيد باستقلالية، لأنه لكي أكون سيدًا، يجب أن يكون لي خادم أعتمد عليه، وهو السيد في هذه الحالة .ثمة تناقض ذاتي في الأمر .علاقة سيد وخادم.

لذا، لكي أكون متأكدًا من نفسي، أنفي الآخر، ولكن بفعل ذلك، أنفي نفسي .وقد استُخدمت كلمة "ينفي "بكثرة في كتابات هيغل وفي الأدبيات المتعلقة به .وهي ببساطة تعني وجود نقيض.

النقيض ينفي الأطروحة .إنهما نقيضان .المصطلح الألماني هو Aufgeheben.

وهذا يعني حرفياً، كما يمكنك ترجمته، أن تكون قد حصلت عليه .أن تكون قد حصلت عليه .لقد حصلت عليه.

.أنت تنفيها .لقد انتهيت منها .تفعل الأطروحة ذلك بنقيضها

يفعل النقيض ذلك بالأطروحة .ولكن بعد ذلك، تدريجياً، يبدأ ترابطهما في الظهور .يعتبر السيد نفسه مستقلاً.

.الخادم مُعتمد على غيره .السيد هو ما هو عليه لنفسه .والخادم هو ما هو عليه لغيره

لكن السيد لا يكون مستقلاً إلا من خلال اعتماده على غيره .أما الخادم، فيُحقق في وجوده من أجل الآخر .ليس فقط اعتماده، بل شيئاً من الاستقلال .فهو لذاته هو ما هو عليه

هل تتذكر أفلام "أبستيرز داونستيرز"؟ هل هي من قبل جيلك؟ لا بد أنك كنتَ حائراً .حسناً، كان المشهد في العصر الإدواردي في إنجلترا، حيث كانت العائلة الأرستقراطية في الطابق العلوي لديها خدم في الطابق السفلي، وكان كبير الخدم بينهم مميزاً .لذلك، عندما كان النبلاء الأوروبيون يأتون لتناول العشاء، كانوا يرغبون في مقابلة كبير الخدم.

هل يمكنك تخيل ذلك؟ لقد اكتسب كبير الخدم ، من خلال خدمته لسيده، مكانةً مرموقةً جعلت النبلاء يتوقون للقائه .لم يكن ليحقق ذلك بمفرده .ولم يكن السيد ليصبح السيد الذي هو عليه لولا خادمه.

كان المشهد الأخير في المسلسل بمثابة خاتمة سعيدة للغاية، حيث كان الخادم، كبير الخدم، مريضًا لدرجة أنه اضطر للتقاعد، فذهب السيد وجلس بجانب سريره في القبو، وتحدثا كصديقين حميمين .لقد زالت الحواجز، ونشأت بينهما علاقة، وتحققت بينهما هذه الخاتمة.

لا أعرف إن كان مؤلف مسلسل "أبستارز داونستارز "قد قرأ هيغل، لكن هذا ما بدا لي .علاقة السيد والخادم .الترابط ، كما ترى، ليس مسألة اعتماد الأفراد على بعضهم البعض.

لا يتعلق الأمر بمفهوم الاستقلالية بمعنى الفردية .هذا ما أدى، للأسف، إلى تفكك بعض الزيجات مع تطور بعض جوانب الحركة النسوية، لأن الحركة النسوية سعت إلى تحقيق الاستقلال بدلاً من التبادلية والترابط. لقد حاولت تجنب التبعية وسعت إلى الاستقلال بدلاً من الترابط.

وقد كان هذا الأمر إشكالياً للغاية في مجتمعنا .أعتقد أنه يتعين علينا التغلب على الاعتماد المفرط، ولكن ليس من خلال الاستقلال التام .هذه هي النظرة الفردية التي سادت في القرن الثامن عشر.

إنها الترابط حيث تتكامل الأمور، أي التوليف .حسنًا، تحصل على صورة مماثلة في الوعي الرواقي المتشكك التعيس .الرواقي، هذه هي مرحلة الأطروحة حقًا، لأن الرواقي في حرية فكره يؤكد استقلاليته عن كل المؤثرات الخارجية.

أتذكرون الموقف الرواقي؟ في حرية فكري، أكون مستقلاً عما قد يحدث لجسدي .أتذكرون إبيكتيتوس، العبد الذي كسر سيده ساقه؟ لقد تقبّل الأمر بصبر وجلد .حسنًا، هذه هي مرحلة الفكرة الأساسية، مرحلة الرواقية.

.يذهب المتشكك بتلك الحرية إلى أبعد من ذلك .فهو ينكر وجود الآخر في تفكيره، ويستبعده تماماً

يعامله بطريقة متقلبة .ولكن، إلى أين يقودنا هذا؟ ننتقل من حالة الرواقية إلى حالة الشك، فننكر الآخر تمامًا، إلى وعي تعيس .هذا هو الفرد المنفصل عن ذاته.

أجل، لأن إنكاري للآخر هو إنكار لهويتي في علاقته به .ولذا، فإن المتشكك، الذي لا يعرف شيئًا عن أي شيء في علاقته بنفسه، سيكون وعيًا تعيسًا للغاية .وهذا يجعلني أعتقد أن هيغل لا بد أنه درّس طلاب المرحلة الجامعية الأولى في وقت ما.

لأنني أعتقد أن هذه ظاهرة نلاحظها جميعًا .فالشخص الذي يمر، لفترة من الزمن، بمرحلة شك في مسيرة نموه، يجد نفسه يعاني من استياء داخلي كبير، لأنه يفتقر إلى هوية تتناسب مع الواقع.

لسنا أفراداً منعزلين في فراغ، في غرفة مُدفأة بموقد، بل في علاقة للآخرين .حسناً؟ إذن، هذا الذات المنقسمة، الذات الناقصة، هي الوعي التعيس .حسناً، التركيب، إذن، داخل الروح الذاتية هو روح عقلانية حقاً.

إنّ العقل يتجاوز مجرد مراقبة عالم الحواس والآخر، ويتجاوز مجرد التأمل في هويته المستقلة، ليصبح كائناً واعٍ ومتأملاً، يتناول نظام العالم الذي ننتمي إليه .وإذا وُجدت الحرية عند كانط، فهي ستكون دائماً حرية ضمن إطار القانون .وليست أبداً حرية فعل أي شيء على الإطلاق، كيفما تشاء.

إنها الحرية ضمن إطار القانون .هذا هو الخيار العقلاني .وذلك لأنه لا وجود للوجود بدون جوهر.

لأن هناك بنية منطقية تسري في كل الوجود .لذا، لا بد من وجود الفرد في علاقة مع الآخر، ضمن إطار قانوني .حسنًا، هل يُساعد هذا في فهم ما يجري؟ ما رأيك؟ أترك لك مهمة استكشاف الجوانب الأكثر تفصيلًا لجدلية علاقة السيد والعبد، لكنني أعتقد أنه إذا استطعت فهم ما يجري، فستتمكن من فهمها بشكل جيد .

حسناً؟ إذن، بضع كلمات عن الروح الموضوعية .الروح الموضوعية .وهنا تلاحظ أن الثلاثية تنتقل من المفهوم المجرد للقانون.

حسناً؟ إن مفهوم القانون، في نهاية المطاف، مفهوم مجرد .على النقيض من ذلك، يتعلق الأمر بمسائل الضمير الفردي والأخلاق .القانون في صورته المجردة، على النقيض من صورته الملموسة.

إلى توليفة الأخلاق الاجتماعية والنظام الاجتماعي .وكما أقول، فإن القانون في صورته المجردة يوفر السياق اللازم للتعامل مع الحرية .القانون في صورته المجردة هو قاعدة العقل.

إنه المفهوم الكانطي للواجب العالمي .ولا بدّ من الاعتراف بأن مفهوم كانط للواجب هو مفهوم مجرد، بل شديد التجريد .أما القانون في صورته المجردة فيتعلق بالحقوق.

تُعتبر حقوق الإنسان شيئاً موضوعياً، متجذرة في الواقع .صحيح، هذا هو المفهوم المجرد.

لكن عليك أن تُفكّك المفهوم .عليك أن تُحلّل المفهوم .وتبدأ في فعل ذلك عندما تتخلى عن تلك المفاهيم المجردة الشاملة حول القانون والحقوق.

إلى مسائل الوعي الفردي .من شيء كالقانون، وهو موضوعي تماماً، إلى شيء كالضمير، وهو داخلي للغاية.

،ذاتي للغاية بمعنى الباطنية .من الحديث عن الواجب الموضوعي إلى الحديث عن وعيي الخاص .الآن، بالطبع .يتعامل كانط مع كليهما

يتصرف بدافع الشعور بالواجب .فلسفته أشبه بفلسفة أخلاقية، فضلاً عن كونها فلسفة موضوعية للحقوق .والواجبات

الأطروحة ونقيضها .لكن ما يحاول هيجل فعله هو الجمع بين هذين المفهومين في توليفة من الأخلاق .الاجتماعية، تتناول النظام الاجتماعي

كما ترى، هنا يخطو خطوة كبيرة إلى الأمام .على الأقل خطوة كبيرة تتجاوز كانط ومن سبقوه .وذلك ببساطة .لأن من سبقوا كانط وكانط نفسه كانوا ينظرون إلى الأفراد كأفراد أحرار

،كان يُنظر إلى الحقوق الفردية على أنها المرجع الأخير .نظرية روبنسون كروزو .أما هيجل، من جهة أخرى .فيرى أن الأفراد لا يحققون العقلانية إلا في إطار علاقة ما

إذن، أيّهما أهمّ؟ الفرد أم المؤسسة الاجتماعية ؟ حسناً، بالطبع، البنية الاجتماعية .العلاقات المنظمة .وهذا .ما نعنيه بالمؤسسة الاجتماعية

نمطٌ من العلاقات بين الأفراد تحكمه القوانين .مؤسسة اجتماعية .وهكذا، في هذا التركيب، يرى أنه يصبح .أكثر واقعية

في البنى الاجتماعية نُجسّد قيمنا الأخلاقية، وفيها يجب أن نتصرف بعقلانية .وهنا يكمن جوهر سيادة .القانون

لذا، لديه الكثير ليقوله عن الأسرة .وإذا كانت البنية الاجتماعية تطغى على الفرد من حيث الواقعية ومستوى .التطور، فهو ليس مؤيداً للطلاق، بل هو معارض له بشدة

وفي هذا السياق يتحدث عن الدولة، وتبدأ فلسفته السياسية بالتبلور .ويريد أن يقول إننا نجد وعينا الفردي .وحريتنا الفردية في أقصى درجاتها في ظل سيادة الدولة

نعم، يمكنك القول، إن شئت، إن لديك حرية أكبر بكثير داخل الزواج منها خارجه .ولديك حرية أكبر بكثير .داخل الدولة منها في أي نظام فوضوي .كما ترى

والمثال الأمثل للدولة، من وجهة نظره، هو نوع من الحكم الدستوري حيث لا يقتصر التمثيل على الأفراد ،المتجمعين وفقًا لكثافتهم السكانية، بل يشمل مختلف الفئات الاجتماعية، والأنظمة والهياكل الاجتماعية والشركات، والعقارات، فضلًا عن البلديات .لأن الروح تجد تعبيرها الحر في حرية تلك الجماعات، كما في حرية .الفرد .لكن التجسيد الأكمل للروح المطلقة هو الدولة

إن أسمى تجليات الحرية هي سيادة الدولة .وعلى هذا النحو تتطور فلسفته التاريخية .فإذا كان ظهور الدولة القومية، الذي كان ظاهرة أوروبا في القرن التاسع عشر، هو تجلٍّ متنامٍ لحرية الروح المطلقة، فإن تلك .الحركات القومية تمثل، كما يفهمها، عمل العناية الإلهية في مسار التاريخ

كما ترى .والدولة القومية تجسد ما ندين له بأعلى درجات الولاء .وهناك الجذور الفلسفية للقومية في القرن .التاسع عشر

حسنًا، في هذا السياق كتب الفيلسوف الهيغلي البريطاني إف إتش برادلي المقال الذي أشرت إليه حول مكانتي وواجباتي .فواجبي، كما ترى، هو تلبية توقعات المجتمع مني .وواجبي، فوق كل شيء، هو تجاه عائلتي، ثم تجاه وطني، ثم تجاه الله.

حسناً، هذا يؤثر على نظرته إلى أمور مثل الحرب .فهو يتحدث عن الحرب باعتبارها مظهراً وتعبيراً عن روح الأمة وسيادة الدولة .فالحرب هي ما يساعد على تنمية روح الأمة.

وأعتقد أن هذا التركيز الهيغلي هو ما يفسر قصيدة تينيسون الشهيرة عن حرب القرم، "هجوم لواء الفرسان الخفيف ."هل تعرفها؟ أتذكر أنني حفظتها في المدرسة وأنا صغير، ولا أتذكرها كلها .لكن "هجوم لواء الفرسان الخفيف "كان أحد تلك الأخطاء الاستراتيجية الفادحة التي اندفع فيها سلاح الفرسان مباشرة نحو مدافع الروس.

وهكذا جرت الأمور، مدافع على يسارهم، مدافع على يمينهم، تطلق وابلاً من النيران، رغم علمهم بوقوع خطأ فادح .ويُعتبر هذا الحدث من أروع الأحداث في تاريخ الحروب لأنه يُجسّد روح الأمة .خطأ فادح واحد، كما ترى.

نعم، هذه هي وجهة النظر الهيغلية .حسنًا، لقد ذكرتُ أن الفلسفة الهيغلية انبثقت منها بعض أشكال التطرف في النزعة الحكومية، ولا سيما الفاشية الإيطالية في القرن العشرين .حسنًا، ستجد في المختارات مقالتين تتناولان فلسفته التاريخية، وستتمكن من فهم ما يجري فيهما بسهولة.

حسنًا، سؤال، تعليق .هل تلاحظون كيف تتطور الأحداث، وكيف تسير؟ هذه مجرد لمحة عامة، بينما يقدم الكتاب المختارات شرحًا معمقًا في نقاط محددة .حسنًا ، يوم الاثنين ، سنتناول الروح المطلقة، بما في ذلك الخوض في فلسفته الدينية.

وبهذا نختتم وقتنا مع هيغل.